الفصل الأول

النظريات السائدة في تحليل النصوص

- الأسلوبية .
- البنيوية .
- التفكيكية .
- الأسلوبية .

١- الفرق بين الأسلوب والأسلوبية

الأسلوبية من المناهج المهمة التي شاعت واستخدمت في تحليل النصوص الأدبية ، وأتت أكلها في الكشف عن محتوى العمل الأدبي .

و الأسلوب طريقةٌ في التعبير و استخدام اللغة، أما الأسلوبية فمنهجٌ وصفيٌ للنصوص يتكئ على البلاغة ، **كما أن مقولة الأديب الفرنسي بيفون:**

(الرّجل هو الأسلوب) تدلّ على أنّ اللغة في صياغتها و نظام الأفكار التي تحملها إنما تكشفُ عن شخصية صاحبها) .

و قد تأسست قواعدُ الأسلوبية على يد واحد من تلاميذ دي سوسير هو(شارل بالي) الذي يرى أنّ اللغة (تتكون من نظامٍ لأدوات التعبير التي تتكفّل بإبراز الجانب الفكري من الإنسان، و ليست مهمة اللغة مقصورةً على الناحية الفكرية وحدها، بل إنّها تعمل أيضاً على نقل الإحساس و العاطفة) . معنى ذلك أن الأسلوب يعتمد على أمرين : فكرة النص وأحاسيس المبدع . بالإضافة إلى ربطِ الألفاظ إلى بعضها لتشكّل نسيجاً يتسم بمميّزاتٍ تميّزه عن أسلوبٍ آخر . أما الأسلوبية فغايتها الكشف عن الخصائص الفنية المميّزة للنّص وما فيه من دلالات

الأسلوب إذن طريقةٌ في التعبير، و الأسلوبية منهج في قراءة النّصوص.

والشاعر عندما ينشىء عملاً أدبيًا يضع نصب عينيه التوضيحَ والتأثير وتكون أداته في ذلك أن يستعملُ الانزياحاتِ والاستعاراتِ وما يحدثه التكرار والتقديم والتأخير والرمز، ويكون حريصًا على أن يضمّن مقصده في إطارٍ من التأثير الذي يساهم في الارتقاء بعملية التفاعل بين المرسل والمتلقي.

وكذلك الأمر في كتابة النثر الأدبي أما في النثر العادي فلا يلجأ الكاتب قصدا إلى مثل هذه الأمور.

٢- آليات التحليل الأسلوبي :

يعتمد التناول الأسلوبي على اللغة الأدبية بما تضم من المفردات والتراكيب ، وبما تحمل في طياتها من انحراف عن مألوف اللغة أو بما تحمل من انزياح لغوي ، وهي آليات تتطلب من المبدع المهارة والدراية بما بين الألفاظ من اختلاف أو ائتلاف ، فاللفظ الذي يصلح في موضع قد لا يصلح في آخر وتقوم الأسلوبية في منهجها على :

- الاختيار .
- التركيب .
- الانزياح .

١- الاختيار :

ويراد به ما يقوم به المبدع من عملية انتقاء مقصودة لمكونات لغوية ينشيء بها عمله الأدبي ويقيم معماريته تتمثل في :

- مستوى اللفظ والمعجم .
- مستوى النحو .
- مستوى الصرف .
- مستوى التعبيرات المجازية .

٢- التركيب :

ويقصد به نظم وتشكيل الكلمات التي تم اختيارها لتكون لبنات في بناء النص ، ولا يستقيم النظم إلا من خلال ما يحققه من انسجام وأثر جمالي وفني في ذهن المتلقي ، وهذه أمور يتلمسها المبدع في الانزياح اللغوي وما يتكئ عليه من :

- التقديم والتأخير .
- الذكر والحذف .
- ذكر الخاص بعد العام .
- ذكر العام بعد الخاص .
- التضمين .
- الاقتباس .
- الاستشهاد .
- مراعاة مقتضى الحال .

٣- الانزياح :

مصطلح حديث طفا على سطح الأدب بعد تطور الدراسات النقدية القديمة والحديثة ، وازدهار الألسنيات واتخذ تسميات كثيرة منها : منها الانحراف والعدول والإبداع والتغيير والخروج ... إلخ

وهو مصطلح يراد به الخروج باللغة عن النسيج اللغوي العادي في أيّ مستوى من مستوياته (الصّوتي، التركيبي، الأسلوبي، البلاغي) ، وذلك لغايات أدبية وبلاغية يقصدها منشئ العمل الأدبي و يعد الانزياحُ الرّكن الأساسي الذي

بني عليه جان كوهن كتابه (بنية اللغة الشعرية) دلك أنه اعتبر الانزياح مبدأ الشعرية ، يقول : "الانزياحُ لا يكون شعريّاً إلا إذا كان محكوماً بقانون يجعله مختلفاً عن غير المعقول" و هذا ما يتجلّى في علاقةٍ مفردةٍ ما مع المفردات الأخرى ضمن السّياق، وعلى سبيل المثال فإن كلمة (الأرض) لا تشكّل انزياحاً إلاّ إذا أُسند إليها فعلٌ من غير المعهود أن يُسندَ إليها مثل (ضحكت) ليتكون من الجملة انزياحٌ نطلق عليه : استعارةً ، وكذلك ما يحدث في بنية التركيب اللغوي العادي من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف .

وعند التحليل الأسلوبي ينظر إلى النص من خلال المستويات الآتية :

- **المستوى النحوي :**

وما يصاحبه من بنية الجملة ، وتقسيماتها إلى : فعلية واسمية ، وما يصحبها من تقديم وتأخير.

- **المستوى الصوتي :**

وما فيه من ظواهر صوتية تتمثل في :

(التكرار الصوتي – المهموس – المجهور – الانفجاري)

الإيقاع الخارجي متمثلاً في الوزن والإيقاع .

الإيقاع الداخلي المتمثل في :

- الجناس .
- التضمين .
- الطباق .
- المقابلة .

- التصريع
- الترصيع

- **المستوى الصرفي :**

ويكون في المشتقات : اسم الفاعل – اسم المفعول – صيغ المبالغة – الصفة المشبهة . المصدر.

- **المستوى الدلالي :**

ويراد به ما يتضمنه السياق من معنى ، وما يوحي به .

- **المستوى المعجمي :**

ويراد به الألفاظ التي تشيع في النص ، ومالها من خصوصية ينفرد بها الشاعر عن غيره من الشعراء .

أما عن عيوب الأسلوبية فتبدو ماثلة في أن :

- **تضع نصب عينها محتوى النص ، فتتعامل مع مكوناته اللغوية والتركيبية وتعنى بالنسيج اللغوي ، وكلها أمور داخلية ، أما خارج النص فلا يدخل في دائرة اهتمام الأسلوبية ، ونقصد به :**
  - حياة الشاعر وبيئته التي نشأ فيها .
  - مناسبة النص ، والتجربة التي وقع الشاعر تحت تأثيرها .
  - المصادر والمؤثرات التي كان لها دور في معمارية النص .
- **تهتم الأسلوبية بالجداول والإحصاءات مثل:**
  - نسبة ورود المشتقات في النص .
  - نسبة ورود المصادر في النص .

- أنواع الأفعال ، وعدد مرات ورود كل نوع منها .
- أنواع الصور المالية ونسبة ورودها في النص .
- أنواع الجمل ونسب ورودها .

كل هذه الإحصاءات والجداول يجعل النص مجرد أرقام ، ويحيل العمل الأدبي إلى كيان خال من الجماليات والأحاسيس .

من جهة أخرى، لا تهتم الأسلوبية اللغوية بالتأويل، ولا تتخذه كغاية من غاياتها. بل غايتها القصوى تقديم وصف لغوي دقيق لنص ما. على الرغم من أن الوصف وجه من وجوه التأويل فإنه ليس تأويلاً. بل هو تمهيد وأرضية أساسية ينطلق منها التأويل وقد فطن النقاد إلى ما يلحق الأسلوبية من عوار وخلل ، وعدم كفاية ، يقول هاليداي مشيرًا إلى ذلك :

"اللسانية غير كافية وحدها في التحليل الأدبي، والمحلل الأدبي - لا اللساني - هو وحده الذي يحدد مكان اللسانية في الدراسة الأدبية".

والأسلوبية لا تمكن القارئ من الإجابة عن " كيف" و"لماذا"، ويفسر لنا ما في النص من ظواهر ، ويعين على التأويل والتحليل .

٣-البنيوية.

"كان تينيانوف أوّل من استخدم لفظة "بنية" في السنوات المبكّرة من العشرينيّات، وتبعه رومان ياكوبسون الذي استخدم كلمة البنيويّة لأوّل مرّة عام ١٩٢٩ "

ظهرت البنيوية كمنهج ومذهب فكري ، وقد سطع نجمها ووضعت أبعادها ومعالمها على يد فرديناند دي سوسير وكلود ليفي شتراوس.

وتستند البنيوية إلى عدة مفاهيم :

- البنية .
- العلاقات .
- المحور .
- المستويات .
- النسق .
- النظام .
- التعارض .
- الاتساق .
- الدال والمدلول .
- المحور التركيبي .
- المحور الدلالي .
- الإيحاء .
- الفونيم .
- التفاعل .

يعتمد التحليل البنيوي على البنية الداخلية للنص الأدبي ، ويهتم بالبناء والجوانب الفنية والجمالية بعيدا عن المؤثرات الخارجية . فلا ينفي الاهتمام بالمؤثرات الخارجية التي أنتجت هذا النص الأدبي ولأنه منهج وصفي نجده يمر في دراسة النص الأدبي بمرحلتين:

الأولى : مرحلة التفكيك :أي تفكيك النص الأدبي إلى مستوياته باعتبار أن النص بنية متكاملة ينبغي دراستها في إطار واحد فكل بنية لها علاقة بالبنية المجاورة ، الاهتمام إذن ينصب على اللغة ولا شيء غير اللغة في حركية دائمة مع الصور والموسيقى وتعدد وتنوع الألفاظ ، واستقراء الدوال الداخلية للنص.

الثانية : مرحلة التركيب : أي إعادة بناء ما تم تفكيكه في إطار لغوي شمولي لا يخرج عن بنية النص ، آخذين في الاعتبار أن النص بنية موحدة متكاملة ينبغي الحفاظ على تكاملها ونسقيتها.

كما تعتمد البنيوية في تتبع النص الأدبي على الانزياح ، ونعني به ما يلاحظ في النص من تحولات : في المحتوى مثلاً : عندما يتحول السياق من الماضي إلى الحاضر أو ما نراه من تحول الصورة من حالة إلى أخرى معاكسة أو ما يحدث من داخل التركيب من تقديم وتأخير.

ونعتمد البنيوية في دراستها على مستويات مختلفة:

١- **المستوى الصوتي**: يتم فيه تناول الحروف وتكويناتها وما تضم من ظواهر صوتية ، والمهموس والمجهور ، والانفجاري والإيقاع الموسيقي الذي تحدثه في علاقتها فيما بينها.

٢- **المستوى الصرفي** :ويتناول وحدات النص الصرفية ممثلة في : اسم الفاعل اسم المفعول ، وصيغ المبالغة ، والصفة المشبهة وما تقوم به هذه الوحدات من وظائف في التركيب اللغوي.

٣- **المستوى المعجمي** :يتناول المفردات وما تحمل من خصائص لغوية ، وما للشاعر من خصوصية في اختيار كلمات بعينها دون الأخرى .

٤- **المستوى النحوي** : ويقوم على الجمل وأنواعها ، وما تحمل من دلالات .

٥- **المستوى التراكيب** : ويتناول ما في النص من أساليب متنوعة وما تحمل من خصائص .

٦- **المستوى الدلالي** :يهتم بما في النص من معنى وماله من علاقة بعلم الاجتماع وعلم النفس.

٧- **المستوى الرمزي** :ويتناول ما اشتمل عليه النص من رموز ومالها من دلالات وما تحمل من تأويل .

وفي ظل البنيوية يعلَن موت الأديب أو صاحب النص وهذا ما يسمى عند البنيويين بموت الكاتب أو بتعبير آخر عدم الاهتمام مؤلف النص وما له من سمات وما في حياته من مؤثرات و لا بالظروف المحيطة به ، وهي بلا شك تؤثر في صياغة النص بطريقة أو بأخرى .

عيوب البنيوية

والبنيوية ، وإن كانت تهتم بالجانب اللغوي للنص ، إلاَّ أن لها عيوبا منها :

١- أنها تهمل المحتوى ، ولا تهتم بالمعنى ، لكونها تركز على الجانب اللغوي والأدب ليس مفردات وتراكيب فقط .

٢- ولكونها تحيل النص إلى بنى ووحدات ومستويات فهي تهمل الوحدة الموضوعية وتكامل النص وترابطه .

٣- وقد أدى تركيزها على محتوى النص اللغوي إلى إهمال دوافع الإبداع وتأثيرها في المبدع .

٤- تفتقد البنيوية إلى الاهتمام بالعالم الخارجي ، والبيئة المحيطة بالمؤلف ومالهما من دور في بنية العمل الأدبي .

٥- تركز البنيوية على النظام ، إذ تقسم النص إلى بنى ومستويات ، وهذا بدوره يلغي التطور .

٦- واهتمامها الزائد بالعناصر وتقسيم النص على وحدات يؤدي إلى هيكلته وتحويله إلى قوالب صماء يفتقد الروح والفاعلية .

٧- وفي ظل الاهتمام باللغة ومفردات النص وتراكيبه يصبح الناقد عاجزا عن التفريق بين النصوص الجيدة والنصوص الرديئة .

٤-التفكيكية :

تعتمد التفكيكية في مضمونها على تفكيك الخطابات والنظم الفكرية وإعادة النظر إليها بحسب عناصرها ، يقول الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا :

"إن التفكيك حركة بنيانية وضد بنيانية في الآن نفسه. فنحن نفكك بناء أو حادثا مصطنعا لنبرز بنيانيه وأضلاعه وهيكله ".

فهو يفكك النص ويعيد بناءه وفق آليات تفكيره . وهو بذلك يعتمد على آليات الهدم والبناء من خلال القراءة .

ومن منطلق التفكيك يتحول النص إلى هدف هو أنّ الخطاب ينتج باستمرار، ولا يتوقف بموت كاتبه.

وتقوم التفكيكية في مضمونها على عند تحليل النص على تفكيكه على عناصره التي يتكون منها . ويعتمد هذا المنهج على :

- تتفكيك النص إلى مكونات .
- تفسير المكونات .
- التعليل . والوصول إلى مبررات لما أتى به الشاعر.
- المقارنة . بمقابلة أفكار النص بأفكار نصوص أخرى تندرج في نفس توجهه سواء أكانت لنفس الكاتب أم لمن يتفق معه من الكتاب الآخرين وفي ظل التفكيكية :

١- يرى التفكيكيون أنه من حق الشاعر أن تكون له رؤيته الخاصة فيما يتعلق بالماضي والمستقبل ، كما أن له الحرية إبراز ما يرى من دلالات وتفاعلات.

٢- وهم يضعون محتوى النص وما فيه من مفردات وتراكيب نصب أعينهم ، وكما يقول دريدًا : "لا يوجد شئ خارج النص"

٣- لا يُنظر إلى المبدع وما يحيط به ، فهو غائب في نظرهم ، إنما جل اهتمامهم تفكيك النص إلى عناصره ومكوناته لإعادة بنائه من جديد ، والوصول به إلى وحدته وتكامله .

٤- تقوم التفكيكية على فكرة أن الأثر هو محور تفكيك النص والنظر على نتيجة الشيء مسبقا ، وبتعبير آخر يهتمون بالمتلقي ويرون أنه لولا وجود قرّاء لم يكتب الكاتب نصه ولا ينظم الشاعر قصيدته. أي أن المتلقي هو سبب في الإبداع وهو الذي يدفع المبدع إلى ما يكتب من نصوص ويدفعه إلى الإبداع الفني فيما ينشيء من أعمال .

أما عيوب التفكيكية فنبرز فيما يلي :

- **يعاب عليها أنها تفتح مجالات للشك في الأفكار الموروثة وما تم التعارف عليه عن اللغة والتاريخ عبر عصور متلاحقة ، يقول ليتش** : إنها باعتبارها صيغة لنظرية النص والتحليل تحرب كل شئ في التقاليد نقريبا وتشكك في الأفكار الموروثة عن العلاقة واللغة والنص والسياق والمؤلف والقارئ ودور التاريخ وعملية التفسير وأشكال الكتابة النقدية، وفي هذا المشروع فإن الواقع ينهار ليخرج شئ فظيع(٢٢).
- عملية هدم النص وتفكيكه إلى عناصره يجعل الأمر المألوف غير مألوف يقول جون أليس (وهو ممن انتقدوا هذا المنهج) : "هناك وسيلة يلجأ إليها التفكيك/ التقويض للحفاظ على صلاحيته. إذ تتم صياغة الموضوعات في مصطلح جديد وغريب وهو ما يجعل المواقف المألوفة تبدو غير مألوفة، ومن ثم تبدو الدراسات المتصلة غير متصلة. إن الهجوم على نظرية إحالة المعنى يترجم إلى هجوم على ميتافيزيقا الحضور برغم أن الاثنين يعبران عن الرأي الساذج القائل بالعلاقة بين الكلمات والأشياء، لكن المصطلحات تجعل الموضوع يبدو مختلفا"(٢٣).
- هذا المنهج النقدي التفكيكي أو التشريحي يلغي وجود حدود بين نص وآخر وتقوم هذه النظرية على مبدأ الاقتباس ومن ثم تداخل النصوص أو التناص.

وتبقى كلمة في النهاية مضمونا أن تراثنا القديم ، وما أبدعه شيوخ اللغة والنقاد الذين ندين لهم بموفور الفضل ، فيه ما يغني ، وأن كثيرا مما جاء في هذه المناهج : الأسلوبية والبنيوية والتفكيكية سبق أن تحدث فيه القدماء ، هذا فضلاً

عما نراه من أثر للديانات والموروثات الغربية في ثنايا ما يرد إلينا في صور وأشكال متعددة ، الأمر الذي يجعل حاجتنا ماسة إلى مناهج ونظريات نقد عربية إسلامية تحمل طابعنا وموروثاتنا وفي بيئتنا من قيم وأخلاق ومبادىء ، وحسبك أن كل ما درسناه من نظريات نقدية ، وكل ما وقع تحت أيدينا من كتب التراث العربي الأصيل يفيض بكريم السجايا ومكارم الأخلاق ، وما دفعني إلى تأليف هذا المصنف إلا حب هؤلاء المعلمين الأفاضل ، والاعتزاز بالسير على دربهم ، وطيب نهجهم ، علني بذلك أرد جميلاً لهم ، وأعطيهم حق أستاذيتهم ،أو أقدم شيئًا نافعا لأجيال تتلمس الخير والنور في عالم غريب وضعت المادة على عينه غشاوة ، فتوارت الروحانيات وصارت تجول بين المعلمين على استحياء .

٥- المقاربة النصية :

- تعرف المقاربة النصية .
- مستويات المقاربة النصية :
  - أ - المستوى الفكري .
  - ب - المستوى البنائي .
- الغاية من المقاربة النصية .

تعريف المقاربة النصية :

هي الدنو والاقتراب من السداد وملامسة الحق ، فيقال : قارب فلان فلانا إذا داناه ، كما يقال : قارب الشيء إذا صدق وترك الغلو ، وبمعنى آخر : التعامل مع النص بصدق .

- المستوى الفكري :

هو محور لكل التعليمات ، وحوله تدور الأنشطة جميعها : من أدب ونصوص ، ومطالعة وتعبير ، وحتى يمضي المتعلم في سديله لتلك المقاربة عليه أولاً أن يثري رصيده اللغوي بمفردات جديدة ذات دلالات ، ويثري رصيده الفكري بأمور كثيرة كملامح بيئة النص ، والاطلاع على النمط وخصائصه ، عن طريق اكتشافه معطيات ذلك النص المدروس ومناقشتها ، مع تفحص تركيب فقراته ومدى اتساقها وانسجامها .

- المستوى البنائي ويشمل :

- مدى التحكم في أدوات اللغة .
- النظر إلى النص من حيث :
  - المعجم .
  - التراكيب .
  - الظواهر النحوية والصرفية .
  - البلاغة .

- خصائص النص

الغاية من المقاربة النصية :

تكمن في إماطة اللثام عن مخبوء النص ومحتواه ، وما فيه من تقنيات فنية آثر المبدع أن يضمنها عمله الأدبي ، بالإضافة إلى الوقوف على ما يتمتع به النص وكاتبه من سمات .

ولا تقف حدود المقاربة النصية عند ذلك فقط بل تتعداه إلى آفاق أخرى من تذوق جماليات النص ، وما يكتنفه من حلية لفظية ، وصياغة أسلوبية تجعلنا نقف على سمات الإنتاج الفني في السائد في العصر الذي ولد فيه النص الأدبي وما يحمل ذلك من إشارات ودلائل تفيد القارئ . وتكون هديا للدارسين والباحثين ونقاد الأدب .

وعبر هذه السطور الآتية نطوف معا في هذه الدراسة التطبيقية التي قمت بها لعدد من النصوص ، توخيت في اختيارها أن تكون من النصوص المشهورة لكبار الشعراء ، أو من الشعراء المحدثين .